

﴿لَا تَجْعَلُوا دُعَاءَ الرَّسُولِ بَيْنَكُمْ كَدُعَاءِ بَعْضِكُمْ بَعْضًا قَدْ يَعْلَمُ اللَّهُ الَّذِينَ يَتَسَلَّلُونَ مِنْكُمْ لِوَاذًا فَلْيَحْذَرِ الَّذِينَ يُخَالِفُونَ عَنْ أَمْرِهِ أَنْ تُصِيبَهُمْ فِتْنَةٌ أَوْ يُصِيبَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾ [النور: 63]

❁ مُنَاسَبَةُ الْآيَةِ لِمَا قَبْلَهَا:

المصائب سبب
لإظهار المناقب أو
إشهار المعاييب

لما أظهرت هذه السورة بعمومها، وهذه الآيات بخصوصها، شرف الرسول بما بهر العقول، لأجل ما وقع للمنافق من التجرؤ على ذلك الجناح الأشم، والمنصب الأتم، وعلم منه أن له ﷺ في كل أمره وجميع شأنه خصوصية ليست لغيره؛ صرح بذلك تفخيماً للشأن، وتعظيماً للمقام، ليتأدب من ناضل عن المنافق، أو توانى في أمره، فقصر عن مدى أهل السوابق، فقال منبهاً على أن المصائب سبب لإظهار المناقب أو إشهار المعاييب: ﴿لَا تَجْعَلُوا دُعَاءَ الرَّسُولِ بَيْنَكُمْ كَدُعَاءِ بَعْضِكُمْ بَعْضًا﴾⁽¹⁾.

❁ شَرْحُ الْمَفْرَدَاتِ:

(1) ﴿دُعَاءٌ﴾: (دعو) أصل واحد، وهو أن تميل الشيء إليك بصوت وكلام يكون منك، تقول: دعوت أدعو دعاءً⁽²⁾، ودعوت الله أدعوه دعاءً؛ ابتهلته إليه بالسؤال، ورغبت فيما عنده من الخير، ودعوت زيداً: ناديتُهُ، وطلبت إقباله، ودعا المؤذن الناس إلى الصلاة، فهو داعي الله، والجمع دعاة وداعون، مثل: قاض وقضاة وقاضون⁽³⁾، والدعاء كالنداء، إلا أن النداء قد يقال بـ (يا، أو أيا)، ونحو ذلك من غير أن يضم إليه الاسم، والدعاء لا يكاد يقال إلا إذا كان معه الاسم، نحو: يا فلان، وقد يستعمل كل واحد منهما في موضع الآخر،

(1) البقاعي، نظم الدرر: 13 / 324.

(2) ابن فارس، مقاييس اللغة: (دعو).

(3) الفيومي، الصباح النير: (دعو).

قال تعالى: ﴿كَمْثِلِ الَّذِي يُنْعِقُ بِمَا لَا يَسْمَعُ إِلَّا دُعَاءَ وَنِدَاءَ﴾⁽¹⁾، والمراد بقوله: ﴿لَا تَجْعَلُوا دُعَاءَ الرَّسُولِ بَيْنَكُمْ كَدُعَاءِ بَعْضِكُمْ بَعْضًا﴾، أي: لا تقيسوا دعاءه إياكم على دعاء بعضكم بعضاً في جواز الإعراض، والمساهلة في الإجابة، والرجوع بغير إذن⁽²⁾.

(2) ﴿يَتَسَلَّلُونَ﴾: (سَلَّ) مَدُّ الشَّيْءِ فِي رَفَقٍ وَخَفَاءٍ، ثُمَّ يُحْمَلُ عَلَيْهِ، فَمِنْ ذَلِكَ: سَلَّتِ الشَّيْءَ أَسْلُهُ سَلًّا⁽³⁾، وَسَلَّ الشَّيْءُ مِنْ الشَّيْءِ: نَزَعُهُ، كَسَلَّ السَّيْفُ مِنَ الْغَمْدِ، وَسَلَّ الْوَلَدُ مِنَ الْأَبِ، وَمِنْهُ قِيلَ لِلْوَلَدِ: سَلِيلٌ، وَسَلَّ الشَّيْءُ مِنَ الْبَيْتِ عَلَى سَبِيلِ السَّرِقَةِ⁽⁴⁾، وَالسَّلَّةُ بِالْفَتْحِ السَّرِقَةُ، وَهِيَ اسْمٌ مِنْ: سَلَلْتَهُ سَلًّا مِنْ بَابِ قَتَلَ؛ إِذَا سَرَقْتَهُ⁽⁵⁾، وَالْمُرَادُ بِالتَّسَلُّ هُنَا: الْانْصِرَافُ عَنِ النَّبِيِّ بغيرِ إِذْنِهِ، تَسْتُرًا وَخَفِيَّةً مِنْهُ⁽⁶⁾.

(3) ﴿لِوَادًّا﴾: (لَوِذ) أَصْلٌ يُدَلُّ عَلَى إِطَاقَةِ الْإِنْسَانِ بِالشَّيْءِ مُسْتَعِيدًا بِهِ وَمُتَسْتَرًّا، يُقَالُ: لَاذَ بِهِ يَلَوِذُ لَوِذًا وَلَاذَ لِيَاذًا؛ وَذَلِكَ إِذَا عَاذَ بِهِ مِنْ خَوْفٍ أَوْ طَمَعٍ، وَلَاوِذَ لِيَاذًا، قَالَ اللَّهُ تَعَالَى: ﴿قَدْ يَعْلَمُ اللَّهُ الَّذِينَ يَتَسَلَّلُونَ مِنْكُمْ لِوَادًّا﴾، وَكَانَ الْمُنَافِقُونَ إِذَا أَرَادَ الْوَاحِدُ مِنْهُمْ مُفَارَقَةَ مَجْلِسِ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ؛ لَاذَ بِغَيْرِهِ مُتَسْتَرًّا، ثُمَّ نَهَضَ⁽⁷⁾، وَمَا فِي الْآيَةِ مِنْ قَوْلِهِمْ: لَاوِذَ بِكَذَا يُلَاوِذُ لِيَاذًا وَمُلَاوِذَةً؛ إِذَا اسْتَتَرَ بِهِ، أَيْ: يَسْتَتِرُونَ، فَيَلْتَجِئُونَ بِغَيْرِهِمْ، فَيَمْضُونَ وَاحِدًا بَعْدَ وَاحِدٍ، وَلَوْ كَانَ مِنْ: لَاذَ يَلَوِذُ؛ لَقِيلَ: لِيَاذًا، مِثْلُ: قَامَ قِيَامًا، إِلَّا أَنَّ اللَّوَاذَ هُوَ فِعَالٌ مِنْ: لَاوِذَ، وَاللِّيَاذُ مِنْ فَعَلَ⁽⁸⁾.

❁ الْمَعْنَى الْإِجْمَالِي:

قال سبحانه ناهياً: ﴿لَا تَجْعَلُوا دُعَاءَ الرَّسُولِ بَيْنَكُمْ كَدُعَاءِ بَعْضِكُمْ بَعْضًا﴾، أي: لا ينادِ أَحَدُكُمْ الرَّسُولَ ﷺ، كما يُنادي بعضكم بعضاً باسمه مجرداً من الألقاب المعظمة، بأنَّ تَدَاوُهُ بـ (يا محمد) ونحوه، ولكن نادوه بـ: (يا رسول الله) و(يا نبي الله) ونحوهما،

(1) الراغب، للفردات: (دعا).

(2) البيضاوي، أنوار التنزيل: 4 / 116.

(3) ابن فارس، مقاييس اللغة: (سَلَّ).

(4) الراغب، للفردات: (سَلَّ).

(5) الفيومي، للصباح المنير: (سَلَّ).

(6) ابن جرير، جامع البيان: 19 / 231.

(7) ابن فارس، مقاييس اللغة: (لَوِذَ).

(8) الراغب، للفردات: (لَوِذَ)، وأبو حيان، البحر المحيط: 76 / 8.

إظهار كمال
الأدب مع النبي
والتحذير
من مخالفة
أوامره

وأيضاً لا تقيسوا - أيها المؤمنون - دعاءه ﷺ إياكم بدعاء بعضكم بعضاً، في المساهلة والرجوع من مجلسه بغير استئذان، فإن هذا محرّم عليكم، والواجب أن تحرصوا على احترام دعوته لكم إلى الاجتماع للأمور المهمة، وأن تستجيبوا لها، وألا تجعلوها كدعوة بعضكم لبعض في جواز التهاون فيها، والانصراف عنها دون استئذان، والله سبحانه يعلم من ينصرفون بدون إذن، مختلفين بين الجموع، حتى لا يراهم الرسول ﷺ، فليحذر المخالفون عن أمر الله أن يعاقبهم سبحانه على عصيانهم بمحنة شديدة في الدنيا كالقحط والزلال، أو بعذاب شديد الإيلام، قد أعدّه لهم في الآخرة، وهي النار⁽¹⁾.

❁ الإيضاح اللغوي والبلاغي:

علة فصل هذه الآية عن سابقتها:

قوله تعالى: ﴿لَا تَجْعَلُوا دُعَاءَ الرَّسُولِ بَيْنَكُمْ كَدُعَاءِ بَعْضِكُمْ بَعْضًا﴾ استئناف مقرر لمضمون ما قبله⁽²⁾، ومؤكّد له، والغرض من التوكيد تقرير المعنى السابق وتثبيتته في ذهن السامع؛ لأن الاستئذان عند الانصراف، والإقبال عند السماع، دليل الاحترام والتفخيم لشأن هذا النبي الكريم ﷺ، ومن ثم لا يمكن أن يكون دعاؤه مثل دعاء غيره، ولا أن ينصرف المكلف عن سماع دعائه وكلامه متسللاً لائثاً بغيره، ولأجل هذا المعنى التقريري والتوكيدي كان الفصل المسمّى بـ (كمال الاتصال) أمراً ثابتاً.

غرض النهي ﴿لَا تَجْعَلُوا﴾:

الغرض من النهي في قوله: ﴿لَا تَجْعَلُوا﴾، هو التأكيد على وجوب

(1) الراعي، تفسير الراعي: 18 / 141، ولجنة من علماء الأزهر، المنتخب في تفسير القرآن الكريم، ص: 530.

(2) أبو السعود، إرشاد العقل السليم: 6 / 198.

توكيد المعنى
بتأدية مع
خصوصيات هذا
النبي الكريم
معاملة وتصرفاً

قبول دعوة الرسول ﷺ إلى حضور مجامع ومجالس المباركة، وتحريم التخلف والإعراض عنها، إثر بيان التحريم عن الانصراف عن مجامع ومجالس دون إذنه وموافقته؛ كي لا يتوهم أن المنهي عنه فقط هو ذلك الانصراف عنها دون إذن حال حضورها، وأنهم - إذا ما دُعوا إليها - مخيرون بين حضورها وعدمه، "فالدعاء على هذا التأويل مصدر دعاه: إذا ناداه أو أرسل إليه ليحضر"⁽¹⁾، وإنما عبّر بالنهاي عن عدم الإجابة بمساواة دعوته إليهم بدعوة غيره دون القول المباشر: (لا تتخلفوا عن دعوته؛ إذا دعاكم)؛ لأن النهي عن الشيء بيان لإمكانه، فاستبعد النص صدور التخلف من المخاطبين عن دعوته المباشرة لهم، وأراد أن ينهى عن ذلك بعدم مساواة دعوته لهم بدعوة غيره لهم؛ لأنه مظنة الوقوع منهم.

بلغة الالتفات من الغيبة إلى الخطاب:

في قوله سبحانه: ﴿لَا تَجْعَلُوا﴾ التفات من الغيبة إلى الخطاب، حيث التفت من الإخبار عن المؤمنين بأنهم لا ينصرفون عن مجامعهم ﷺ قبل انقضائها إلا بإذنه؛ تعريضاً بمن كانوا يفعلون ذلك من المنافقين، إلى خطابهم بالنهي عن التخلف عن حضورها، وذلك للحث لهم على تلقي الجملة بنشاط وعلو همّة، وإبراز مزيد الاعتناء بشأنه ﷺ⁽²⁾.

فائدة استعمال لفظ ﴿دُعَاء﴾ دون (نداء):

﴿دُعَاء﴾ في قوله تعالى: ﴿لَا تَجْعَلُوا دُعَاءَ الرَّسُولِ بَيْنَكُمْ كَدُعَاءِ بَعْضِكُمْ بَعْضًا﴾ بمعنى النداء، وعلى القول بأن المصدر هنا مضاف إلى المفعول يكون المعنى: لا تنادوه ﷺ، كما يُنادي بعضكم بعضاً باسمه مجرداً، مثل: (يا زيد، يا خالد)، فلا يناديه أحد منكم

عدم إجابة
دعوة الرسول
ﷺ لمجالسه،
والانصراف
عنها دون إذنه
مستويان حرمة

الالتفات بحقّق
الحثّ على
الالتزام وإبراز
كمال الاعتناء
بشأن النبي ﷺ

وجوب خفض
الصوت عند
دعائه ﷺ وأن
يكون الدعاء
بما يليق ومقامه
الشريف

(1) ابن عاشور، التحرير والتنوير: 309 / 18.

(2) أبو السعود، إرشاد العقل السليم: 6 / 198، وابن عاشور، التحرير والتنوير: 309 / 18.

بقوله: (يا محمد)، فإنه يجب له من التوقير والتقدير ما قد يتجاوز بعضكم مع بعض فيه، واللازم في دعائه أن يكون بما ناداه الله به، نحو: (يا أيها الرسول) أو (يا رسول الله)، و(يا أيها النبي) أو (يا نبي الله)، أو بكنيته الشريفة: (يا أبا القاسم)، ويضاف إلى ذلك وجوب مراعاة مقامه في هيئة دعائه، وليس فقط في الألفاظ وخفض الصوت فلا يدعوه من وراء الحجرات، وألا يلحوا في دعائه؛ إذا لم يخرج إليهم⁽¹⁾، وسر التعبير بالدعاء دون النداء متعلق بوجوب توقيره ﷺ، فلا يدعى إلا بصوت منخفض، أما النداء؛ فإنه يكون بصوت مرتفع⁽²⁾، وهو لا يلائم المقام الشريف، ولهذا قال الله تعالى ضمن لوازم توقيره ﷺ: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا لَا تَرْفَعُوا أَصْوَاتَكُمْ فَوْقَ صَوْتِ النَّبِيِّ وَلَا تَجْهَرُوا لَهُ بِالْقَوْلِ كَجَهْرِ بَعْضِكُمْ لِبَعْضٍ أَن تَحْبَطَ أَعْمَالُكُمْ وَأَنتُمْ لَا تَشْعُرُونَ ٤٠ إِنَّ الَّذِينَ يَغُضُّونَ أَصْوَاتَهُمْ عِندَ رَسُولِ اللَّهِ أُولَٰئِكَ الَّذِينَ امْتَحَنَ اللَّهُ قُلُوبَهُمْ لِلتَّقْوَىٰ لَهُمْ مَغْفِرَةٌ وَأَجْرٌ عَظِيمٌ ٤١ إِنَّ الَّذِينَ يُنَادُونَكَ مِن وَرَاءِ الْحُجُرَاتِ أَكْثَرُهُمْ لَا يَعْقِلُونَ ٤٢﴾ [الحجرات: 2 - 4]، وإنما عدل عن النهي بالقول: (لا تدعوا الرسول كدعاء بعضكم بعضاً) إلى النهي عن الجعل المذكور؛ لأن توجية النهي إلى الدعاء يستلزم أنهم قد صدر منهم ذلك، وجاء النهي مانعاً منه، في حين يتحقق في النهي عن الجعل توجية لهم بملازمة ذلك الفعل والأدب معه، فلا يقتضي صدور الدعاء منهم له بما يدعون بعضهم بعضاً.

نوع إضافة لفظ ﴿دُعَاءَ﴾ إلى ﴿الرَّسُولِ﴾:

المصدر في قوله: ﴿دُعَاءَ الرَّسُولِ﴾ هو مضاف إما للمفعول، أي: دعاؤكم للرسول ﷺ، وهو أن الداعي؛ إذا دعا يقول: السَّلام عليك

المصدر المضاف
إلى المفعول
والفاعل محقق
للثراء الدلالي

(1) ابن عاشور، التحرير والتنوير: 309 / 18.

(2) العسكري، الفروق اللغوية، ص: 38.

يا رسولَ الله، ولا يقولُ: السَّلامُ عليك يا مُحَمَّدُ، فأَمروا بالتأدُّب معه، أو مضافٌ للفاعل، أي: لا تجعلوا دعاءَ الرَّسولِ لكم إلى أمرٍ من الأمور، كدعاءِ بعضكم لبعضٍ بحيثُ تَمَثَّلُونَ أمرَهُ تارةً، وتخالفونه أخرى، ويؤيِّدُ هذا المعنى الثاني قوله تعالى بعد ذلك: ﴿فَلْيَحْذَرِ الَّذِينَ يُخَالِفُونَ عَنْ أَمْرِهِ أَنْ تُصِيبَهُمْ فِتْنَةٌ أَوْ يُصِيبَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾⁽¹⁾، كما تدلُّ على المعنى الأوَّل آياتُ سورة الحجرات سابقة الذكر: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا لَا تَرْفَعُوا أَصْوَاتَكُمْ فَوْقَ صَوْتِ النَّبِيِّ وَلَا تَجْهَرُوا لَهُ بِالْقَوْلِ كَجَهْرِ بَعْضِكُمْ لِبَعْضٍ﴾^[2]، وبهذا التعدُّد الاحتماليّ يتحقَّقُ ثراءُ المعنى، ويكون النصُّ قد نهى عن خطابِ الرَّسول ﷺ بما يُخاطَبُ به النَّاسُ العاديُّونَ، وقد نهى عن الإعراضِ عن دعوته وندائه للمؤمنين بالإقبالِ والسَّماعِ لكلامه ومواعظه وإرشاده الحكيم.

سرُّ استعمال لفظِ «الرَّسولِ» دون (النبي):

في استعمال لفظِ «الرَّسولِ» دون (النبي) لفتُ إلى الخصوصيّةِ الكاثبةِ في لفظِ الرَّسول، فهو أخصُّ من لفظِ النبي؛ لأنَّ الرَّسولَ نبيٌّ أنزلَ إليه كتابٌ وشريعةٌ أمرٌ بتبليغهما، ومن لازم ذلك حتُّمٌ على مزيدٍ من التوقير الذي يلائمُ هذا المقامَ الخاصَّ، الذي منحه الله بعضَ عبادِهِ المصطفىين، وآخرهم رسولُ الله مُحَمَّدٌ ﷺ، وأمَّا الأنبياءُ؛ فهم كُثُرٌ، كما أنَّ هنالك اقتضاءً بين لفظِ (الدُّعاء) ولفظِ «الرَّسولِ»؛ لأنَّ من شأنِ الرَّسول أن يدعو قومه إلى شريعته، ويبلغَ كلامَ الله الموحى إليه، فيتحقَّقُ التَّناسبُ بين الرَّسول والدُّعاء.

بلادةُ التَّقْيِيدِ والتعريضِ في الظَّرْفِ «بَيْنَكُمْ»:

قال ابنُ عرفة: فإن قلتَ: ما فائدةُ قوله: «بَيْنَكُمْ»، والأصلُ عدمُه؛ لأنَّ النَّهْيَ المطلقَ أَوْلَى من النَّهْيِ المقيَّدِ؟ فالجوابُ: أنَّهم إذا

لفظُ الرَّسول
أخصُّ من لفظِ
النبي، وأرفعُ
وأدعى لمزيدٍ من
التوقير والتقدير

في تقْيِيدِ النَّهْيِ
بالظَّرْفِ تنبيهُ
على حرمة النَّهْيِ
المطلق من باب
أَوْلى

(1) ابن عرفة، تفسير ابن عرفة: 3/ 230، والسمين، الدر للصون: 8/ 446.

نُهِوا عن مخالفة أمره فيما بينهم، أي: في حال غيبته عنهم، فأحرى أن يُنْهَوْا عن مخالفة أمره فيما بينهم وبينه، أي: بحضرتهم معهم، فيُعلَّقُ النَّهْيُ بِالْأَخْصِّ؛ ليدلَّ على ما عداه من باب أخرى⁽¹⁾، وفيه: تعريضٌ بالمنافقين الذين تماؤوا بينهم على التخلف عن رسول الله؛ إذا دعاهم، كلُّما وجدوا لذلك سبيلاً، كما أشار إليه قوله تعالى: ﴿مَا كَانَ لِأَهْلِ الْمَدِينَةِ وَمَنْ حَوْلَهُمْ مِنَ الْأَعْرَابِ أَنْ يَتَخَلَّفُوا عَنْ رَسُولِ اللَّهِ﴾ [التوبة: 120]⁽²⁾.

معنى الكافي وبلاغتها:

(الكاف) في قوله: ﴿كَدَّاءٌ﴾ للتشبيه، أي: تشبيهه دعائه ﷺ بدعاء غيره، فهذا منهي عنه، ولما كان منهيًّا عنه؛ جازَ فيه تشبيهه الأعلى بالأدنى، على معنى أن الأعلى لا ينبغي أن يكون له من المعاملة ما يكون للأدنى، فالغرضُ النَّهْيُ عن تشبيهه دعائه إلى المجامع أو ندائه بدعاء بعضهم بعضاً، فإنه له من التوقير والتقدير والتعظيم ما ليس لبعضكم ببعض، وفي التفاوت الواقع في الدُّعاء إشارة إلى التفاوت في الذات والمنزلة؛ إذ للرَّسول ﷺ من الكمالات ما لا يمكن الوقوف على كنهه وحقيقته، وفي النَّهْيِ عن مشابهة دعاء الرسول بدعاء بعضهم بعضاً دلالة على كمال دعوة الرَّسول وعلو درجته، فكيف بمن يجعل دعاء الرَّسول أقلَّ من دعاء بعضهم لبعض، فيستلزم النَّهْيُ عن المساواة النَّهْيَ عن الأقلية.

معنى إضافة ﴿كَدَّاءٌ﴾ إلى ﴿بَعْضُكُمْ﴾:

إضافة لفظ ﴿كَدَّاءٌ﴾ إلى ﴿بَعْضُكُمْ﴾ هو من إضافة المصدر إلى فاعله، أي: كما يدعو بعضهم بعضاً، ومن المعلوم أن المصدر يدلُّ على الحدث العام، فيشمل جميع أفراد الدُّعاء وصوره المختلفة،

في مقام النَّهْيِ
والدَّم، بُشْبَهَ
الأعلى بالأدنى

إبهامُ الفاعل
والفعلِ إظهاراً
لمقام الرسالة
المتفرد

(1) ابن عرفة، تفسير ابن عرفة: 230/3.

(2) ابن عاشور، التحرير والتنوير: 309/18.

فيتناسب هذا العموم مع عموم الفاعلين وعموم المفعولين، وإنما ذكر الفاعل مبهمًا عامًّا بقوله: ﴿بَعْضُكُمْ﴾؛ للدلالة على تساوي الجميع في المقام دون المقام النبوي الكريم، فعلى الرغم من وجود تفاوت بين البشر إلا أنه مقارنةً بالمقام النبوي المبارك ينحط، ويضعف؛ فلا مقام أعلى من مقام النبوة والرئاسة والاصطفاء الإلهي.

نكتة التقييد بالمفعول ﴿بَعْضًا﴾:

نص على ذكر المفعول، وهو قوله: ﴿بَعْضًا﴾؛ لأنه محل النهي في الدعاء، فقد نهوا عن أن يجعلوا دعاءه ﷺ، كما يكون من بعضهم لبعض، وليس النهي عن مطلق دعائه، فلا يدخل فيه دعاؤه ﷺ بما يقتضيه مقام التوقير لشأنه، والتعظيم لحاله كما ينبغي.

التنصيص على محط النهي أوقع في النفس وأبلغ

علة فصل جملة ﴿قَدْ يَعْلَمُ اللَّهُ﴾:

قوله تعالى: ﴿قَدْ يَعْلَمُ اللَّهُ الَّذِينَ يَتَسَلَّلُونَ مِنْكُمُ لَوَادًا﴾ جملة مستأنفة، هدفها تهديد أولئك الذين كانوا يتسللون من مجامعهم ﷺ دون إذنه، ببيان أنه سبحانه مطلع عليهم وعلى فعلهم، ومُعاقبهم عليه. وهذا التهديد يتلاقى مع النهي المتقدم عليه؛ إذ النهي عن الشيء أمرٌ بضده، فيكون في الإقدام على المنهي عنه ما يستوجب التهديد والوعيد، فناسب أن يعقب التهديد النهي.

الاستئناف التهديدي منسجم مع النهي المتقدم

غرض استعمال ﴿قَدْ﴾:

﴿قَدْ﴾ في أصلها تدلُّ على التقليل مع المضارع، إلا في أفعال الله تعالى، فإنها تدلُّ على التحقيق والتكثير كهذه الآية، وكما في قوله تعالى: ﴿قَدْ نَرَى تَقَلُّبَ وَجْهِكَ فِي السَّمَاءِ﴾ [البقرة: 144]، وقوله سبحانه: ﴿قَدْ يَعْلَمُ اللَّهُ الْمُعَوِّقِينَ مِنْكُمُ﴾ [الأحزاب: 18]، فهي هنا للتحقيق والتكثير، وأنها بمنزلة (رب) في دلالتها على التكثير⁽¹⁾، وهذا المعنى

التحقيق والتكثير زاجران عند التهديد والوعيد

(1) السمين، الدر المنثور: 447/8، وابن عاشور، التحرير والتنوير: 310/18.

أَنسَبُ بِالزَّجَرِ والتهديد؛ لِأَنَّ مَنْ كَانَ يَفْعَلُ ذَلِكَ مِنَ الْمُنَافِقِينَ قَدْ يَظُنُّ أَنَّ اللَّهَ تَعَالَى غَيْرُ عَالِمٍ بِهِ، وَلَا يُطْلَعُ رِسُولُهُ عَلَيْهِ، وَعِنْدَمَا يَسْمَعُ هَذَا الْخُطَابَ، فَإِنَّهُ يَفْزَعُ مِنْ حَالِهِ، وَلَعَلَّهُ يَنْزَجِرُ بِهَذَا الْوَعِيدِ وَالتَّخْوِيفِ، وَلَعَلَّ الْغَرَضَ أَيْضًا مِنْ إِدْخَالِ ﴿قَدْ﴾ عَلَى الْمَضَارِعِ هُنَا أَنْ يَزِيدَ فِي أَهْلِ التَّحْقِيقِ تَحْقِيقًا، وَيَفْتَحَ لِأَهْلِ الرَّيْبِ إِلَى الْإِحْتِمَالِ طَرِيقًا، فَإِنَّهُ يَكْفِي فِي الْخَوْفِ مِنَ النُّكَالِ طُرُوقَ الْإِحْتِمَالِ⁽¹⁾، وَقَدْ رَدَّهَا بَعْضُهُمْ إِلَى التَّقْلِيلِ لَكِنْ بِالنَّظَرِ إِلَى مُتَعَلِّقِ الْعِلْمِ، يَعْنِي: أَنَّ الْفَاعِلِينَ لَذَلِكَ قَلِيلٌ، فَالتَّقْلِيلُ لَيْسَ فِي الْعِلْمِ الْإِلَهِيِّ بَلْ فِي مُتَعَلِّقِهِ⁽²⁾، وَالْأَوَّلُ أَوْلَى وَأَوْفَقُ لِلنَّظْمِ؛ لِأَنَّ التَّقْلِيلَ لَا بَدَّ، وَأَنْ يَكُونَ لِمَدْخُولِ ﴿قَدْ﴾، وَالمُتَعَلِّقُ لَيْسَ بِمَدْخُولٍ لَهُ، إِلَّا أَنْ يَقَالَ: إِنَّ الْمُتَعَلِّقَ لَمَّا كَانَ قَلِيلًا؛ كَانَ تَعَلُّقُ الْعِلْمِ بِهِ قَلِيلًا؛ إِذِ الْمُرَادُ التَّعَلُّقُ الْحَادِثُ، وَهُوَ مُتَنَاهٍ بِالْفِعْلِ، وَإِنْ كَانَ غَيْرَ مُتَنَاهٍ بِالْقُوَّةِ، بِمَعْنَى: لَا يَقِفُ عِنْدَ حَدٍّ - قَالَهُ الْقَوْنَوِيُّ - ثُمَّ أَضَافَ: وَلَعَلَّ هَذَا مُرَادُ مَنْ قَالَ: إِنَّ التَّقْلِيلَ بِالنِّسْبَةِ إِلَى مُتَعَلِّقِهِ، فَاحْفَظْهُ؛ فَإِنَّهُ تَحْقِيقٌ أَنْيَقُ وَتَوْفِيقٌ رَشِيقٌ⁽³⁾.

دلالة صيغة المضارع ﴿يَعْلَمُ﴾:

عَبَّرَ بِالمضارع ﴿يَعْلَمُ﴾ دُونَ الْمَاضِي (عِلِمٍ)؛ لِلدَّلَالَةِ عَلَى اسْتِمْرَارِهِمْ عَلَى مَا هُمْ عَلَيْهِ مِنْ مَحَاوِلَاتِ التَّسَلُّلِ، وَاسْتِمْرَارِ تَهْدِيدِهِمْ بِعِلْمِهِ سُبْحَانَهُ بِمَا يُدَبِّرُونَ، وَيَفْعَلُونَ، وَلَا يَخْفَى أَنَّ اسْتِمْرَارَ الْعِلْمِ بِالنَّظَرِ إِلَى مُتَعَلِّقِهِ أَكْبَرُ تَهْدِيدٍ لِأُولَئِكَ الْمُتَسَلِّلِينَ، الَّذِينَ لَا يَنْفَكُونَ عَنِ الْخُرُوجِ مِنْ مَجْلِسِهِ الْمُبَارَكِ مُتَسَلِّلِينَ، فَيُنَاسِبُهُمْ أَنْ يَكُونَ التَّهْدِيدُ وَاقِعًا عَلَى سَبِيلِ الْاسْتِمْرَارِ وَالتَّجَدُّدِ؛ وَفِيهِ أَيْضًا اسْتِحْضَارُ الْعِلْمِ الْمَاضِي بِحَالِهِمْ، كَأَنَّهُ وَاقِعٌ الْآنَ، وَفِي زَمَنِ النُّزُولِ، لَعَلَّ مَنْ يَفْعَلُ ذَلِكَ يَنْزَجِرُ عَنْ فِعْلِهِ، وَيَحْصِلُ لَهُ كِمَالُ التَّهْدِيدِ مَعَهُ.

(1) البقاعي، نظم الدرر: 13 / 325.

(2) السمين، الدرر للصون: 8 / 447.

(3) القونوي، حاشيته على تفسير البضاوي: 13 / 475.

استمراراً للمخالفة
تستدعي
استمرار التهديد
والوعيد

نكتة اختيار لفظ الجلالة:

اختير اسمُ الجلالة ﴿الله﴾ لما له من الهيبة والجلال في مقام يستدعي الخوف والرَّهبة من عقابه سبحانه، بغيةً مراجعة النفس وتصحيح مسارها، ولا يخفى أنَّ الاسم الجليل يستدعي كلَّ صفات العظمة والقهر، فيدخلُ اسم الذات مع صفاته كلها في نفوس المهتدين ليؤثّر في أفئدتهم، وليعلموا أنَّ الله محيطٌ بهم، ويعلم ما كانوا يفعلونه من تسلُّ وخروج بشكل خفيٍّ ظانِّينَ أنَّهم ناجونٌ من عِلْمِ الله تعالى بهم وبأحوالهم، ولا يُطلَعُ رسوله على ما يجترحونه.

بلغة استعمال الاسم الموصول:

عبّر عن المخبر عنهم بالاسم الموصول ﴿الَّذِينَ﴾ في قوله: ﴿الَّذِينَ يَتَسَلَّلُونَ﴾ دون الاسم الظاهر (المتسلِّين) ذمًّا لهم، وتنبهًا إلى ما تضمَّنَتْه جملة الصَّلَة من تصرُّفهم المشين، الَّذِي استحقُّوا الذَّمَّ ثمَّ التهديد لأجله، وهو أنَّهم (يتسلَّلون لوأذاً)، فيكرِّرون التسلُّ، ويعيدون محاولاته، وأيضًا فيه فتحٌ لباب الأمل في الرجوع عن خصلتهم هذه، فالتعبيرُ بالفعل لا يفيد الثبات، بخلاف التعبير بالاسم، وكان اختيارُ الفعل المضارع لاستحضار صورة التسلُّ، وكأنَّها واقعة الآن وليبيان أنَّه تعالى لا يخفى عليه شيءٌ من أفعالهم، وبذلك يتسَّقُ العِلْمُ المستمرُّ مع التسلُّ المستمرِّ، فيحصلُ الزَّجرُ المناسبُ والوعيدُ الملائمُ لفعلهم، وفي إسنادِ فعل التسلُّ لجميع المنافقين دلالةٌ على أنَّ ذلك واقعٌ من جميعهم دون استثناء، وأنَّهم كانوا يتعمَّدون فعله نكايةً بالرَّسول ﷺ ومخالفةً لأمره.

براعة استعمال مفردة ﴿يَتَسَلَّلُونَ﴾:

تدلُّ مفردة (سَلَّ) على معنى نزح الشيءِ مِنَ الشيءِ في خفاءٍ وخلسةٍ، كما مضى بيانه في معاني المفردات، وهذا يقتضي ألاَّ يتمَّ مرَّةً واحدةً، ولكنَّ في تَوَدَّةٍ وعلى مهلٍ، فالفعلُ (تسلَّل) نظيرُ

استلزام الاسم
الجليل صفات
القهر والغلبة
أوقع في التهديد
وأنسب للزجر

ذمهم بما في
جملة الصَّلَة
من الصفات
الذمومة

التسلُّ يعني
الانسلال
والانصراف في
خفاءٍ على سبيل
التدرج

تدرّج، وتدخّل في دلالة (تفعّل) على مواصلة العمل في مهلة، وهو معنى قولهم: إنّ ذلك الفعل ﴿يَتَسَلَّلُونَ﴾ وقع قليلاً قليلاً⁽¹⁾، وكان التعبير عنه بالمضارع؛ ليصوّر حالة التسلّل المستمرة المتجدّدة، أي: كون التسلّل يقتضي التعلّل والتخفّي والتصنّع لأجل إتمامه، ومن مقتضاه أن يستترّ المتسلّل بغيره حتى يخرج من مكان الاجتماع.

بلاغة تعلّق الجارّ والجرور ﴿مِنْكُمْ﴾ بالمؤمنين:

لما كان المؤمنون جماعة حاضرة في المجلس، وكان المنافقون جماعة حاضرة فيه أيضاً، وهم المنافقون بالخروج، وأخذوا يتسلّلون من المجلس؛ لم يخبر المولى تعالى عن انسلاّهم من المجلس والمكان، بل جعل التسلّل من جماعة المؤمنين؛ تشبيهاً للمؤمنين بالمكان استعارة مكنية، فكأنّ المؤمنين هم المجلس الجامع للحاضرين، والخروج عنهم خروجٌ من المكان، وقد اشتمل هذا التعبير الاستعاري على أنّ المتسلّلين كانوا قلةً من الحاضرين، وأنّ المزايلة عن المكان والمجلس زوالٌ عن الحاضرين فيه، ويحصل من المزايلة والتسلّل من الحاضرين تميّز المؤمنين من المنافقين، وعظمة العلم إنّما تكمن في تعلّقه بانسلاّهم عن الحاضرين أكثر ممّا تظهر في انسلاّهم عن المكان الجامع لهم.

بلاغة الحال ﴿لِوَادًا﴾:

قوله: ﴿لِوَادًا﴾ منصوبٌ على الحال من فاعل ﴿يَتَسَلَّلُونَ﴾، أي: يتسلّلون ملاءمين، أي: يلوذُ بعضهم ببعض، ويستترّ به مُتَخَفِّيًا حتى يتمّ له الخروج، فالحال هنا تصوّر هيئة الخروج، ومن صورهِ أيضاً أنّ يلوذَ بمن يخرج بالإذن إراءة أنّه من أتباعهِ، والفرض من ذكر الحال المقيد للتسلّل بيان أنّ ذلك الانسلاّ كان يتمّ بكلّ دقّة واحتياط؛ ظلّاً منهم أنّهم يتخفّون عن الله تعالى ورسوله

الانسلاّ من
المؤمنين دون
المجلس تميّز
للمؤمنين
وتنكيس
للمنافقين

الحال للفضلة
تناسب مع
كمال العلم
بحالهم
بغية زجرهم
وتهديدهم

(1) الشهاب الخفاجي، عناية القاضى وكفاية الراضى: 402 / 6.

الكريم، فحكى الله لهم طريقة تسألهم وتخفيهم بكامل تفاصيلها الجسمانية والنفسية إعلاماً لهم بإحاطته بأفعالهم وسرائرهم، وزَجراً لهم عن مثل هذا التصوُّر الوهمي الباطل، ويُمكن أن يكون ﴿لَوَإِذَا﴾ منصوباً على أنه مصدرٌ مؤكَّدٌ لفعلٍ مضمرٍ هو الحال في الحقيقة، أي: يلوذون لوإذا⁽¹⁾.

نوع الفاء ودلالاتها في ﴿فَلْيَحْذَرِ﴾:

(الفاء) في قوله تعالى: ﴿فَلْيَحْذَرِ الَّذِينَ يُخَالِفُونَ عَنْ أَمْرِهِ﴾؛ لترتيب ما بعدها على ما قبلها، أي: لترتيب الحذر أو الأمر به على ما قبلها من علمه تعالى بأحوالهم، فإنه مما يوجب الحذر البتة⁽²⁾، والفاء الترتيبية تتناسب مع إرادة الزجر والتهديد في الجملة المتقدمة؛ لأن الغرض منهما أن يترتب عليهما حدث ينبغي بالمخاطبين العلم به والحرص على معرفته، فجاءت (الفاء) مُشعِرةً بذلك للمخاطبين المهتدين.

بلاغة التهديد في صيغة ﴿فَلْيَحْذَرِ﴾:

الظاهر أن الأمر بالحذر للوجوب، وهو قول الجمهور⁽³⁾، والحذر يقتضي التهديد الشديد بأشدَّ ألوان الوعيد عند المخالفة والتجاوز، وإنما جاء الأمر بصيغة المضارع المقترن بـ (لام الأمر) لإفادة الاستمرار والتجدد في عملية المحاذرة من مكر الله وغضبه وانتقامه من المخالفين لأوامره، وبذلك يتسق الاستمرار في انسلالهم ولواذهم مع الاستمرار في حذرهم؛ إذ يكون بين الاستمرارين تساوي في الدرجة والنوع.

نكتة التعبير بالاسم الموصول:

عبّر عن الفاعل للحذر بالاسم الموصول في قوله ﴿فَلْيَحْذَرِ الَّذِينَ

الترتب والتسبب
بين التهديد
والأمر بالحذر

استمرار الحذر
يتسق مع
استمرار المخالفة

(1) أبو السعود، إرشاد العقل السليم: 6 / 198.

(2) أبو السعود، إرشاد العقل السليم: 6 / 198.

(3) أبو حيان، البحر المحيط: 8 / 76.

النص على سبب
التهديد والوعيد
والحذر، وهو
مخالفة أمر
الرسول ﷺ

يُخَالِفُونَ تنبيهًا على ما تضمنته الصلة من أسباب التهديد والوعيد في الآية، وهي مخالفة أمر الرسول ﷺ أو أمر الله تعالى؛ بناءً على ما يجوز من احتمال عود الضمير في **﴿أَمْرًا﴾** على الله تعالى لكونه الأمر حقيقة، أو على الرسول ﷺ؛ لآئته المقصود بالذكر⁽¹⁾، وإنما عدل عن صيغة الأمر (احذروا) إلى الأمر باللام؛ ليتسنى ذكر الفاعل اسمًا موصولًا، وليس ضميرًا متصلًا، والاسم الموصول يفيد العموم والإبهام المحتاج إلى الصلة؛ لتبين علة الأمر بالحذر، وهو اتصاف الفاعلين بالمخالفة المتعمدة من التسلل لواءًا عن مجلس النبي ﷺ بعد أن دعاهم إليه، وجمعهم من أجله.

بلاغة استعمال مفردة **﴿يُخَالِفُونَ﴾**:

المخالفة أشمل
أنواع المباحة
الحسية
والعنوية

المخالفة: المغايرة في الطريق التي يمشي فيها بأن يمشي الواحد في طريق غير الطريق الذي مشى فيه الآخر⁽²⁾، وهو هنا في قوله: **﴿يُخَالِفُونَ﴾** كناية عن المشاققة والمصادة والمعارضة من كل وجه، والخلاف اللغوي يشمل الضد والتقيض، كما يدل على المغايرة والمباعدة، فإن هؤلاء المنافقين بانسلاهم عن المجلس قد اتخذوا لهم طريقًا مخالفًا لطريقه ﷺ، وقد ابتعدوا عن منهجه وتشريع ونظامه وقضيته.

دلالة التعبير بصيغة المضارع **﴿يُخَالِفُونَ﴾**:

استمرار المخالفة
تستلزم استمرار
الوعيد والمحاذرة

عبر بالمضارع في قوله: **﴿يُخَالِفُونَ﴾** دون الماضي، فلم يقل: (خالفوا)؛ للدلالة على تكرار مخالفتهم أمر الله تعالى ورسوله ﷺ، واستمرارهم على ذلك، وهو من دواعي تشديد الوعيد لهم، وفي إسناد الفعل إلى ضمير الجمع إشارة إلى اجتماع كلمتهم على المخالفة والمعارضة.

(1) الزمخشري، الكشاف: 3/ 260، وأبو السعود، إرشاد العقل السليم: 6/ 198.

(2) ابن عاشور، التحرير والتنوير: 18/ 311.

بلادة التضمين:

قوله: ﴿يُخَالِفُونَ عَنْ أَمْرِهِ﴾ جاء متعدياً بحرف المجاوزة ﴿عَنْ﴾، قيل: لَأَنَّ ﴿يُخَالِفُونَ﴾ مُضْمَنٌ معنى (يُعرضون)، أو (يَصُدُّونَ)⁽¹⁾، وقيل: الفعل على بابهِ بلا تضمين، و﴿عَنْ﴾ زائدة⁽²⁾، والتقدير يخالفون أمره، والتحقيق في لفظ المخالفة أنه قد يُستعمل لازماً، فتكون تعديته بـ (عن) بطريق التضمين، وقد يُستعمل متعدياً بنفسه فيكون المفعول الأول صريحاً، ويتعدى إلى المفعول الثاني بـ (إلى)، كما في قوله تعالى: ﴿وَمَا أَرِيدُ أَنْ أُخَالِفَكُمْ إِلَى مَا أَنْهَكُمْ عَنْهُ﴾ [هود: 88]، أو بـ (عن) كما هنا⁽³⁾، وسبب حذف المفعول الأول أنه لم يتعلّق بذكره غرض، بل الغرض ذكر المخالف والمخالف عنه⁽⁴⁾.

دلالة استعمال ﴿أَمْرِهِ﴾ دون مرادفاته:

أوثر التعبير بلفظ (الأمر) دون غيره؛ لأنه من الألفاظ العامة الجامعة، فهو يُطلق على عامة الأفعال والأقوال كلها⁽⁵⁾، ولأجل هذا العموم والشمول في معناه، كان التعبير به دون غيره، فيكون المعنى: يخالفون عن قوله أمراً ونهياً، أو عن فعله ﷺ خلقاً وسلوكاً، ولم يقل: (عن شأنه) وإلا اختص ببعض المخالفات المتعلقة بعظائم الأمور فحسب.

نكتة مجيء المفعول ﴿أَنْ تُصِيبَهُمْ﴾:

قوله: ﴿أَنْ تُصِيبَهُمْ﴾ مصدر مؤوّل هو مفعول ﴿فَلْيَحْذَرِ﴾، وفي كونه مفعولاً للفعل ﴿فَلْيَحْذَرِ﴾ دليل على أن الأمر فيه للوجوب، فترتب هذا الوعيد - وما عطف عليه بعد، وهو قوله: ﴿أَوْ يُصِيبَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾ على الحذر قرينة مؤكدة لوجوبه؛ إذ لا مدخل للتهديد على

فعل المخالفة
لزوماً وتعدياً
يحقق ثراءً دلاليّاً

التعبير بـ (الأمر)
تعبير عام
شامل للأقوال
والأفعال كلها

ترتّب الوعيد
على الحذر من
المخالفة للأمر
قرينة مؤكدة
لوجوبه

(1) شيخ زاده، حاشية زاده على البيضاوي: 260 / 6، وابن عاشور، التحرير والتنوير: 311 / 18.

(2) الجمل، حاشية الجمل على الجلالين: 323 / 5.

(3) القانوني، حاشيته على تفسير البيضاوي: 477 / 13.

(4) الرمخشري، الكشف: 260 / 3.

(5) الراغب، المفردات: (أمر).

ترك غير الواجب، و"لأنَّ التحذير من العقاب إنَّما يكونُ بعدَ قيامِ المقتضي لنزولِ العذاب" (1)، وإنَّما جاءَ المفعولُ لأجله بصيغة المصدر المؤوَّل؛ لبيان أنَّ إصابةَ العذابِ لهم على سبيل الاستمرارِ المتجدِّد.

غرضُ التعبيرِ بالمضارعِ ﴿تُصِيبُهُمْ﴾:

المضارعُ مشعرٌ
بتنوعِ مصائبِ
الدُّنيا

عبَّرَ بالمضارعِ في قوله: ﴿تُصِيبُهُمْ﴾ لدلالتهِ على الاستقبال، وللاشعار بتوالي المصائبِ عليهم وتنوعِها بسببِ المخالفةِ عن الأمر، كأنَّ يسلطُ الله عليهم في الدُّنيا جائراً يسوِّمُهم سوءَ العذابِ ونحو ذلك من الأهوال، أو يستدرجهم بالنَّعم، ثمَّ يأخذهم بغتةً أخذَ عزيزٍ مُقتدر، كما قال سبحانه: ﴿فَلَمَّا نَسُوا مَا ذُكِّرُوا بِهِ فَتَحْنَا عَلَيْهِمْ أَبْوَابَ كُلِّ شَيْءٍ حَتَّى إِذَا فَرِحُوا بِمَا أُوتُوا أَخَذْنَاهُمْ بَغْتَةً فَإِذَا هُمْ مُبْلِسُونَ﴾ [الأنعام: 44].

دلالةُ مفردةِ ﴿فِتْنَةً﴾ مُنْكَرَةً:

التَّعبيرُ بالفتنةِ
أعمُّ؛ لأنَّ الفتنةَ
ابتلاءٌ بالخيرِ
والشرِّ، والمصيبةُ
إنَّما تكونُ بالشرِّ

أوثر التعبيرُ بالفتنةِ في قوله: ﴿أَن تُصِيبَهُمْ فِتْنَةٌ﴾ دونِ المصيبة؛ لأنَّ المصيبةَ منصرفةٌ استعمالاً حتماً إلى الابتلاءِ بالألامِ الحسيَّةِ والمعنويَّةِ، ولذا فإنَّها تقابلُ بالحسنة، كما في قوله تعالى: ﴿إِن تُصِيبَكَ حَسَنَةٌ فَسَبِّحْهُنَّ وَإِن تُصِيبَكَ مُصِيبَةٌ فَقُلْ هِيَ مِنْ رَبِّي قَبْلُ وَيَتَوَلَّوْا وَهُمْ فَرِحُونَ﴾ [التوبة: 50]، أمَّا الفتنةُ؛ فهي أعمُّ منها حيثُ تشملُ الابتلاءَ بالنَّعم أيضاً استدراجاً واختباراً، كما قال سبحانه: ﴿وَبَلَّوْا كُومَ بِالشَّرِّ وَالْخَيْرِ فِتْنَةً﴾ [الأنبياء: 35]، وكان إيرادُ الفتنةِ نكرةً للدلالةِ على أنَّها نوعٌ خاصٌّ من الفتنِ العجيبةِ العظيمةِ، فالتَّكثيرُ للتَّنوعِ أو للتَّعظيمِ والتهويلِ، فلفظُ الفتنةِ مشعرٌ بتنوعِ الابتلاءِ وشِدَّتِهِ وكونه متوقَّعاً أنَّ يَجيءَ من بابِ النَّعم، كما يأتي من بابِ الشرِّ، فهو غيرُ محدَّدٍ الوجهةِ، فكان أدعى للحيرةِ وشِدَّةِ الخوفِ، وقوَّى هذا المعنى إسنادُ الإصابةِ إلى (الفتنةِ) إسناداً مجازياً؛ إذ غرضُه الحثُّ على

(1) البقاعي، نظم الدرر: 13/ 326.

الحذر منها لتوقع شدتها وتنوعها، وإلا فإن الذي يُصيبهم بالفتن هو الله تعالى.

معنى حرف ﴿أَوْ﴾ وتكرار فعل (الإصابة):

﴿أَوْ﴾ حرف عطف يفيد التَّوْبِيعَ والتَّخْيِيرَ، وغرض التعبير به هنا دون (الواو)؛ لأنَّ الجمع غير مقصود، بل المقصود منع الخلو⁽¹⁾، أي: أن يصيبهم هذا أو ذاك ويُحتمل الجمع بينهما، وتفصيل ذلك: أنَّ الأمر الجامع الوارد في قوله: ﴿وَإِذَا كَانُوا مَعَهُ عَلَى أَمْرٍ جَامِعٍ﴾؛ إمَّا أن يكون أمرًا دنيويًّا، كالتشاور في الأمور الحربيَّة ونحوها، فالانصراف عنه مظنة إصابة المحنة الدنيويَّة ﴿وَتَنَّةٌ﴾ للمُنصرفين، وإمَّا أن يكون أمرًا دينيًّا، كإقامة الجمعة التي فيها تعظيم شعائر الإسلام، والانصراف عنه مظنة إصابة العذاب الأخروي ﴿عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾، ولا يمنع أن يجوز اجتماع الأمرين معًا بأن يتخلفوا عن الأمر الجامع الدنيوي والأخروي، فيقعون في الفتنة والعذاب الأليم معًا⁽²⁾، ونلاحظ تكرار فعل (الإصابة) مع الفتنة والعذاب الأليم؛ للدلالة على أنَّ تلك الإصابة واقعة لا محالة بهم؛ إن استمروا في مخالفة أمره.

غرض تنكير ﴿عَذَابٌ﴾ ووصفه:

نكر العذاب إبهامًا له لتحويله وتعظيمه، ولتذهب النفس في تفسيره كلَّ مذهب، ولتدلَّ على أنَّه نوعٌ مخصوص من العذاب الذي لا يتصوره عقلٌ، ولا يحيط به جنان، ولذا وصف بأنه ﴿أَلِيمٌ﴾؛ ليكشف عن حقيقته، ويوضح أثره في المعذبين به، والألم هو الوجع الشديد، يقال: ألم يَأْلَمَ ألمًا فهو ألمٌ⁽³⁾، والإيجاع أنواعٌ وألوانٌ منها الحسي، وهو أظهرها، ومنها النفسي، وكلمة ﴿أَلِيمٌ﴾ تجمعهما، ولذا

التَّعْبِيرُ بِـ (أَوْ)
لَمَنْعِ الْخُلُوِّ مِنْ
أَحَدِ الْعِقَابَيْنِ
فِي الدُّنْيَا أَوْ فِي
الْآخِرَةِ

تَهْدِيدُ الْخَالَفِ
بِأَلْوَانٍ مِنَ
الْعَذَابِ لَا يَتَوَقَّعُ
مَوْضِعَ إِبْلَامِهَا

(1) أبو السعود، إرشاد العقل السليم: 6 / 198.

(2) الألوسي، روح المعاني: 9 / 417.

(3) الراغب، المفردات: (ألم).

أَوْثَرَ التَّعْبِيرُ بِهَا عَنْ أَلْوَانِ الْعَذَابِ الَّتِي تَنْتَظَرُ مَنْ يَخَالَفُ أَمْرَ اللَّهِ
تَعَالَى وَأَمْرَ رَسُولِهِ ﷺ .

نكتة التعبير بصيغة «أَلِمْ»:

المجاز العقابي في
إسناد الإيلام
إلى العذاب
مبالغة

قوله: «أَلِمْ» هو فعيلٌ، وقد اختلف في معناه، فقيل: هو بمعنى اسم المفعول؛ لأنَّ الأكثرَ في هذه الصيغة أنَّ الرُّبَاعِيَّ بمعنى مُفْعَلٍ، وأصله (عَذَابٌ مُؤْلَمٌ) بصيغة اسم المفعول، أي: مؤلَّمٌ مَنْ يَعَذَّبُ بِهِ عَلَى طَرِيقَةِ (المجاز العقلي) في إسناد الإيلام إلى العذاب؛ لأنَّ المؤلَّم هو المعذَّب به دون العذاب نفسه، كما قالوا في (جَدَّ جُدَّه)، وإنَّما أسند الإيلام إلى العذاب دون المعذَّب به؛ ليكون أكثرَ مبالغةً في تشنيع العذاب وتقبيحه وشدَّته، حتى إنَّه ليتعذَّب، ويتألَّم من شدَّته وقوَّته، ولِنَتَخِيلَ أَنَّ العذاب يتلوَّى من شدَّة العذاب، وقيل: هو من: فعيلٍ بمعنى فاعِلٍ من (أَلِمَ) وهو مجاز مرسلٌ، بمعنى صار العذاب ذا أَلَمٍ ومنسوبًا إليه، مثل (تأمر) بمعنى: ذو تمر و(لابن) بمعنى ذو لبن، وقيل: هو من: فعيلٍ بمعنى مُفْعَلٍ، أي: مُؤْلَمٌ بكسر اللام⁽¹⁾، وهو مجاز عقليٌّ أيضًا؛ لأنَّ العذاب لا يفعل الإيلام بنفسه. وعلى كلِّ هذه الاحتمالات فإنَّ المعنى: أَنَّ عَذَابَ اللَّهِ تَعَالَى شَدِيدٌ أَلَمُهُ، يَنْبَغِي أَنْ يُحْذَر، وَيُنْتَقَى بِصَدَقِ الْإِيمَانِ، وَاتِّبَاعِ النَّبِيِّ ﷺ .

(1) ابن عاشور، التحرير والتنوير: 282/1.

عنوان الكتاب:

موسوعة التفسير البلاغي، المجلد السابع والثلاثون،
سورة النور من الآية 39 إلى سورة الفرقان الآية 42
مجمع القرآن الكريم بالشارقة، الشارقة، دولة الإمارات العربية المتحدة

*

التنفيذ والنشر: منشورات القاسمي، الشارقة، دولة الإمارات العربية المتحدة
سنة الطبع: 1446هـ - 2024م
© حقوق الطبع والنشر محفوظة لمنشورات القاسمي
الطبعة الأولى: 2024م

*

الفهرسة الوصفية أثناء النشر:
مكتبة الشارقة العامة، هيئة الشارقة للكتاب، الشارقة، الإمارات العربية المتحدة

227.366

م. ق. ت

التفسير البلاغي للقرآن: المجلد السابع والثلاثون، سورة النور من الآية 39 إلى سورة الفرقان الآية 42
[إشراف مجمع القرآن الكريم، قسم الدراسات والبحوث؛ المدير العلمي امحمد صافي المستغانمي].-
الشارقة، الإمارات العربية المتحدة: منشورات القاسمي، 2024.
مج. 37، 812 صفحة؛ 24x17 سم.
ردمك: 978-9948-732-79-2
يشتمل على ارجاعات ببليوجرافية.
مج. 37: المجلد السابع والثلاثون، سورة النور من الآية 39 إلى سورة الفرقان الآية 42.
1-القرآن - تفاسير نحوية 2-القرآن، بديع 3-القرآن، بلاغة 4-القرآن - سور وآيات 5-القرآن-
ألفاظ أ-العنوان ب- مجمع القرآن الكريم (الشارقة، الإمارات العربية المتحدة).
قسم الدراسات والبحوث

الترقيم الدولي: 978-9948-732-79-2

*

إذن طباعة رقم: MC-03-01-8644972 بتاريخ 2024/11/26م،
مكتب تنظيم الإعلام، وزارة الثقافة والشباب، الإمارات العربية المتحدة

*

الفئة العمرية: E

«تم تصنيف وتحديد الفئة العمرية التي تلائم محتوى الكتب وفقاً لنظام التصنيف العمري
الصادر عن المجلس الوطني للإعلام»

*

الطباعة: AL Bony Printing Press - Sharjah, UAE

الإخراج الفني: عاصم محمد زكي «النجار»